

صلى الله عليه وسلم

الناشر، المكتب المصري الحديث

٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة - تليفون، ٢٩٣٤١٢٧

٧ شارع نوبار المنشية - الاسكندرية - تليفون، ٤٨٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. وَصُورٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ

«وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَعْنُودٍ
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»

المكتبة المصرية الحديث

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله ولى
الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا
رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . اللهم أنا قد رضينا بك
ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا
ورسولا .

التحيات لله ، والصلوات والطيبات . السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين . أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما بركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد .

وبعد :

فهذا كتاب أتحدث فيه عن السراج المنير ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، والمقام الحمود ، والموقف المشهود . ولكن عن أى شىء أتحدث ، والكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول جوانب عدة . وما مثلى فى الحديث عن رسول الله إلا كشعاع الشمس المتسلل من حنايا النافذة ومن ثم ، فاننى سأحاول تركيز الكلام فى هذا الكتاب عن الجانب الخلقى الذى تجلى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يهدى الله به قوما تنكبوا الطريق ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلغا .

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) .

(يسبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم . هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) .

ما أحوج الأمة الى القدوة الصالحة . الا وان مثل القدوة من الأمة كمثل الرأس من الجسد ، أو الروح من المادة ، فكيف يحيا جسد بلا رأس ، أو بدن بلا روح ؟ وليس لهذه الأمة من قدوة صالحة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) .

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا . فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

(يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

(والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) .

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) .

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

الأخلاق في أقوال رسول الله ﷺ

أفاضت الأحاديث الصحيحة في بيان الأخلاق التي بعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم .

وها نحن أولاء فذكر جانباً من هذه الأحاديث ، تبركا بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم كما تبركنا من قبل بآيات بينات من كتاب الله سبحانه وتعالى .

ماذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم في البر ؟

عن النواس بن سميان الأنصاري رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم ، فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . رواه مسلم والترمذى .

فالاتم ما تردد في الصدر ، ولم يطمئن له القلب ، وكرهت أن يراه الناس . والبر حسن الخلق . واحسن ما قيل فيه انه فعل الواجبات ، والبعد عن المحرمات والبشاشة مع الناس ، والاحسان اليهم .

وقال وابصة بن معبد : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله عن البر ، فقال « جئت تسأل عن البر ؟ قلت : نعم . قال : البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وان أفطاك الناس وأفتوك » .

ماذا قال نبينا ﷺ عن بر الوالدين؟

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك « رواه الشيخان .

وعنه قال رجل : يا رسول الله من احق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ثم أدناك فأدناك « رواه مسلم .

ذكر صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث مرات ، ثم ذكر الأب بعدها لعظم حقها مما قاسته في حملها وارضاعه ثلاثين شهرا ، وسهرها به ، واحتراق قلبها عليه حتى ريته .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة » رواه مسلم والترمذي .

وقالت أسماء رضي الله عنها : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيها ، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ان أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال : « نعم صلى الله عليه وسلم » رواه الشيخان .

عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جدم رضى الله عنهم « قلت :
يا رسول الله من ابر ؟ قال : أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم
أباك ، ثم الاقرب فالاقرب ، لا يسأل رجل مولاة من فضل هو
عنده فيمنعه اياه الا دعى له يوم القيامة فضله الذى منعه
شجاعا أقرع » رواه أبو داود والترمذى .

وقيل يا رسول الله من ابر ؟ قال أمك ، وأباك ، واختك ،
وأخاك ، ومولاك الذى يلى ذاك ، حق واجب ، ورحم موصولة »
رواه أبو داود .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من الأعراب لقيه
بطريق مكة فسلم عليه ابن عمر وحمله على حمار كان يركبه
وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، فقال ابن دينار : أصلحك
الله انهم الأعراب وهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : ان
أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب ، وانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « ان ابر البر صلة الولد أهل
ود ابيه » رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

وجاء رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى
من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم الصلاة
عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة
الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقيهما » رواه
أبو داود والبيهقى .

عن أبى الطفيل رضى الله عنه قال : « رأيت النبى صلى
الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة ، وأنا يومئذ غلام أحمل

عظم الجزور ، اذ اقبلت امرأة حتى دنت من النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليها ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت من هي ؟ فقالوا هذه امه التي ارضعته « رواه ابو داود .

والمقصود بامه التي ارضعته « حليمة السعدية »

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد » .

وعن البراء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الخالة بمنزلة الام » .

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى اصببت ذنبا عظيما ، فهل لى من توبة ؟ قال « هل لك من أم ؟ قال : لا ، قال هل لك من خالة ؟ قال : نعم ، قال : فيرها » روى هذه الاربعة الترمذى .

ماذا قال نبينا ﷺ في الأبناء؟

اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين لنا حقوق الوالدين على الاولاد ، فانه عودنا دائما ان يقيم الوزن بالقسط حتى لا يختل الميزان ، فبدأ يبين لنا حقوق الأبناء على الآباء . والله تبارك وتعالى يوجه الخطاب الى المؤمنين فيقول : « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

اذن فمستولية كل انسان عن أهله تعادل مسئوليته عن نفسه بدليل أن الله تعالى قرن الأهل بالنفس في هذه الآية
حديث قال : (قوا أنفسكم وأهليكم) .

فماذا قال نبي الرحمة في هذا المقام ؟

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قَبَّلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا . فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول « اللهم ارحمهما فانى ارحمهما » رواه البخارى .

ويزيد الرسول مقام الرحمة بالأبناء رحمة ورحمة .

فعن عائشة رضى عنها قالت : « جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون الصبيان فما نقبلهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة » رواه الشيخان .

ويرغب الرسول صلى الله عليه وسلم في الرضا بما قضى الله إذا رزق الانسان البنات ، وأن المؤمن يجب أن يقوم حاله على الشكر والصبر والاي يقنط أو ييأس من رحمة الله أبدا .

عن عائشة قالت : جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسالني فلم تجد عندي غير ثمرة واحدة فأعطيتهما فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال « من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » رواه الشيخان والترمذى .

ولمسلم والترمذى « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت انا وهو الجنة كهاتين » ومعنى من عال ، أى قام بأمرهما ، جاريتين : أى بنتين ، حتى يدركا فتستغنيان عنه بالكسب أو الزواج ، دخل الجنة مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وتزيد دائرة المعاملة للاناث فتشمل غير البنات ، بل وتتسع الى أن تشمل الأخوات ولو كانتا اثنتين من البنات أو الأخوات .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذى وأبو داود .

بل ان رحمة الله تعالى وثوابه الجزيل يشمل من أحسن الى أنثى من بناته ولو كانت واحدة .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ، أدخله الله الجنة » رواه أبو داود .

لم يئدها : أى لم يدفنها حية كعادة الجاهلية الشنيعة .
ولم يؤثر ولده : أى الذكر عليها ، بل يحسن الى الاولاد فى
حياته على السواء .

إذا كان هذا هو جانب الرحمة بالابناء ، فان جانب
التأديب له مكانته فى الاسلام ، كما ان له آثاره الايجابية .
وليس هناك أدنى شك فى أن الرحمة لا تتناقض مع التأديب ،
بل ان التأديب جزء من الرحمة ، لا يمكن أن ينفصل أحدهما
عن الآخر . وكما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على
الرحمة بالابناء ، فانه فى نفس الوقت يحث على تأديبهم .

فمن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق
بصاع » .

عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضى الله عنهم
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولدا من
نحل أفضل من أدب حسن » رواه الترمذى .

ومعنى الأدب الحسن أن يعلمه كيف يأكل . وكيف يشرب ،
وكيف يعامل الناس ، وكيف يسعى لعيشه بينهم ، ويحسن
عشرتهم . والواجب عليه لربه ولخلقه ، فيدخل فى تعليمه بما
يناسب الزمان والمكان فى حدود ما أمر الله .

والتوفيق بيد الله تعالى يهبه لمن يشاء .

تَجِبُ صَلَاةُ الرَّحْمِ وَيُحْرَمُ قَطْعُهَا

قال الله تبارك وتعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا » .

فماذا قال نبي الرحمة وامام الهدى عن صلة الأرحام ؟

لقد قال حقا ، ونطق صدقا ، وهذه قطرات من غيض جوده ، ونظرات بعين كرمه ، وهو يوصي بصلة الأرحام :

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلا قال : « يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم » رواه الشيخان .

ومعنى قوله : وتصل الرحم : اى تحسن الى اقاربك
بما تيسر لك على حسب حالك وحالهم من انفاق أو سلام أو
زيارة ونحوها .

صلة الرحم تبسط الرزق وتزيد العمر .

فمن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « من سره أن يبسط له في رزقه ، وإن ينسأ له في
آثره فليصل رحمه » رواه الثلاثة .

متى يعتبر الإنسان واصلا لرحمه ؟

للبخارى وأبو داود والترمذى « ليس الواصل بالمكافئ،
ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » .

تدل احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن
الواصل الحقيقي للرحم هو الذى يصلها اذا قطعتة ، ويحسن
اليها اذا أساءت اليه ، ويحلم بها اذا جهلت عليه ، مصداقا
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل
بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها »
ومعنى المكافئ : هو من يعطى نظير ما أخذ لا يسمى واصلا
بل الواصل هو من يعطى من قطعه ، لحديث « ثلاثة من مكارم
الأخلاق عند الله : أن تعفو عن ظلمك ، وتعطى من حرمك ،
وتصل من قطعك » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله : من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته » رواه البخارى والترمذى .

ماذا قال الله تعالى للرحم عندما استعازت به من القطيعة ؟

انه مشهد رهيب يصوره لنا النبى صلى الله عليه وسلم فى كلمات كلها اعجاز وبيان .

فلننصت بأذان القلوب الى ما نطق به حبيب علام الغيوب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ، فهو لك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقراوا ان شئتم (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) » رواه الشيخان .

كيف يعامل الانسان المسلم رحمه اذا جفت وغلظت ؟

أيقابل ذلك بمثله أم ماذا ؟

وهذه ظاهرة تفشت بين الناس .

يجيب عن هذا السؤال سيد الخلق ، وحبيب الحق
محمد صلى الله عليه وسلم :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول
الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسئون
الى ، وأحلم عنهم ويجهلون على . فقال : « لئن كنت كما قلت
فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم
ما دمت على ذلك » .

ومعنى المل : الرماد الحار ، تشبيهه بما يلحقهم من الألم
بما ينال أكل الرماد الحار لاساعتهم الى من أحسن اليهم .

ماذا تقول الرحم ؟

أنها تقول عجا ، وتنطق عدلا .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله
الله ، ومن قطعنى قطعه الله » رواه مسلم .

ومعنى معلقة بالعرش : أى تستجير بربها .

ما مصير قاطع الرحم يوم القيامة ؟

انه مصير مؤسف ومخزى ، يدعو الى الأسى العميق .

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » .

ما جزاء من تسبب في لعن والديه ؟

انه عمل من اكبر الكبائر .

اذا كان هذا حال المتسبب فكيف بمن يلعنهما مباشرة ؟

لا شك انه اشنع وابغض .

فمن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه . قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل ابا الرجل فيسب اياه ويسب امه » رواهما الأربعة .

ومعنى ان يسب الرجل والديه ، اى يتسبب في سبهما . وانما كان سبهما من اكبر الكبائر لانه عقوق واساءة وكفران لحقهما الذى هو الاعظام والاكبار وتمام الاحسان .

ان عناية الله تعالى بالرحم تتجلى في اوضح صورة عندما يقول مولانا في الحديث القدسي الشريف : « انا الله وانا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » رواه الترمذى وابو داود .

ومعنى بتته : اى قطعته .

وهذه ثمرات طيبة يبينها لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : « تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ،

فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراه في المال ، منسأة في الأثر « رواه الترمذى وأحمد والحاكم .

فصلة الرحم توجب محبة الأهل ، وسعة الرزق ، وطول العمر .

إنسانيات إسلامية

ما من يوم ينشق فجره الا ويزداد الاسلام عظمة على عظمة ، ونورا على نور .

فها هي ذى تعاليمه تطالعنا بأضوائها الكاشفة ، كلما اظلمت جنبات الحياة ، وادلهمت خطوبها .

ففى الوقت الذى تضرب فيه التفرقة العنصرية فى جذور الأرض تريد أن تفسد نباتها وماءها وهواءها ، نجد الاسلام يضىء ويزدهر ، وتشرق أنواره ، فيؤكد على حسن معاملة الأتباع والخدم . وليس فى ذلك أدنى ريب .

فالاسلام هو الذى جعل من عباد الحجر قادة للبشر ، ومن رعاة الغنم زعماء للأمم ، ومن المستضعفين سادة ، ومن العبيد أساتذة وقادة .

واليك ما نطقت به السنة المطهرة فى هذا المجال .

اقرأه ثم ارجع البصر فيه هل ترى من غطور ، ثم ارجع
البصر كرتين في معانيه ، وغص في أعماقه ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير .

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت رضى الله عنهم
قال : « خرجت أنا وأبى نطلب العلم في هذا الحى من الانصار قبل
أن يهلكوا ، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه غلام له معه ضمامة من صحف ،
وعلى أبى اليسر بردة ومعافرى ، وعلى غلامه بردة ومعافرى ،
فقلت له أنا : يا عمى لو أنك أخذت بردة غلامك وأعطيته معافرى
وأخذت معافرىه وأعطيته بردتك فكان عليك حلة وعليه حلة .
فمسح رأسى وقال اللهم بارك فيك يا ابن أخى ، بصر عيناى
هاتان ، وسمع أذناى هاتان ، ووعاه قلبى هذا ، وأشار الى
مناط قلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :
أطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون وكان أن أعطيته
من متاع الدنيا أهون على من أن يأخذ من حسناتى يوم القيامة »
رواه مسلم مطولا في قصة لأبى اليسر .

وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : كنت أضرب
غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى : اعلم أبا مسعود مرتين :
لله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فإذا هو النبى صلى الله
عليه وسلم . فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله . قال :
أما لو لم تفعل للمستك النار .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال : « من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا » .

ثم استمع الى هذا الحياء ، وتلك السماحة من اشرف نعم واطهره ، كيف يجيب على سؤال وجه اليه بهذا الخلق الرفيع .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت ، فاماد الكلام فصمت ، فلما كان فى الثالثة قال : « فى كل يوم سبعين مرة » روى هذه الثلاثة أبو داود والترمذى .

حقوق وواجبات

اقام الاسلام ميزان العدالة فى شتى مسالك الحياة . وقد استقام الميزان له لانه يقوم على الحق والعدل . وها هو ذا الميزان ينظم العلاقة بين المالك والمملوك ، فى حديث جامع مانع لسيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لاعمكم من مملوكيكم فاطعموه مما تأكلون واكسوه مما تكتسون . ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى » .

وعن رافع بن مكيث رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الملكة يهن ، وسوء الخلق شؤم » رواهما أبو داود . حسن الملكة بفتحات : الصنيع مع الاتباع يهن وبركة ، لانه اذا احسن اليهم احبوه واخلصوا له واتقنوا

أعمالهم ففما ماله وحسن حاله بخلاف الحمق معهم فإنه تعب
وخسران ، وربما أدى الى الهلاك لحديث الترمذى « لا يدخل
الجنة سىء الملكة » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال « ثلاث من كن فيه ستر الله عليه كنفه ، وأدخله
جنته : رفق بالضعيف ، وشفقة على الوالدين ، واحسان
الى المملوك » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال « اذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم »
رواه الترمذى .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : فذكر الله أى ذكره
سبحانه مستجيرا به كقوله اتركنى بالله ، أو كفى بالله ،
فارفعوا أيديكم اجلالا لاسم الله تعالى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « ثلاثة على كئبان المسك يوم القيامة : عبد أدى
حق الله وحق مواليه ، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل
ينادى بالصلوات الخمس فى كل يوم وليلة » رواه الترمذى .

الرحمة بالأرامل واليتامى

وتمتد رحمة الاسلام لتبسط أجنحتها على كل الضعفاء
وعلى رأس هؤلاء الأرامل واليتامى .

فكم طوى البؤس نفوسا ، لورعت منبتا خصيبا ،
وتنسمت نسيم الحياة ، لكانت من خير العباد ، وأنقاهم معدنا
وأعظمهم نفعا .

والآن مع سيد اليتامى ، الذى قال له ربه (ألم يجدك
يتيما غاوى) .

هذه نعمة ، ولكل نعمة شكر ، فما شكر هذه النعمة ؟
قال له : (فاما اليتيم فلا تقهر) .

والآن مع أقوال تفيض رحمة بهذا الفريق من اليتامى
والأرامل .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وقال
بأصبعيه السبابة والوسطى » رواه الأربعة .

ولمسلم « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى
الجنة ، وأشار بالسبابة والوسطى » .

عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : « أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين
يوم القيامة ، وأوما بالوسطى والسبابة ، امرأة آمت من
زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى
بانوا أو ماتوا » رواه أبو داود .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « من قبض يتيما من بين مسلمين الى طعامه

وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر له «
رواه الترمذى .

وعن صفوان بن سليم رضى الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « الساعى على الأرملة والمسكين
كالمجاهد فى سبيل الله ، أو كالأذى يصوم النهار ويقوم الليل » .
رواه الشيخان والترمذى .

الإسلام وحقوق الجار

شملت حسنات الإسلام كل شيء .

غفى كل موقع ترى الأثر الجميل ، والخلق الرفيع
لمعاملات الإسلام . وهو إذ يدعو الى الفضيلة بكل قوة ،
ويحذر من الرذيلة بكل وسيلة ، تراه يقف موقفا عجيبا ، وسر
العجب فيه أنه لم ينس أحدا الا وبين ما عليه من الواجبات ،
وما له من الحقوق .

وها هو ذا يحدثنا عن الجار ، بما له وما عليه .

قال ربنا تبارك وتعالى (وبالوالدين احسانا وبذى
القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) .

فماذا قال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عن الجار ،
فى كلمة موجزة لكنها معجزة ، وفى مبنى وجيز لكنه عزيز يقول :
« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »
رواه الأربعة .

ويراعى الاسلام العدالة فى اُجلى معانيها ، بل ولو كانت
قيد شعرة (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما) .

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا
حاسبين) .

وهذه عدالته مع الجيران :

قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ان لى جارين
فالى ايهما اهدى ؟ قال « الى اقربهما منك بابا » رواه البخارى
وابو داود .

ثم تأمل معنى ما هذا الوعيد الشديد ، وما هذا التحذير
الرهيب الذى تكاد تتخلع له القلوب ، وتنفطر من هولته
الافئدة . من اجل من ؟ من اجل الجار .

اسمع كيف استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم
هذا الاسلوب الذى بعث على الاستفسار بكل شوق ونهم .

عن ابي شريح رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ،
قبل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه »
رواه البخارى ومسلم ولفظه « لا يدخل الجنة من لا يأمن
جاره بوائقه » صدق من سماك الرعوف الرحيم يارسول الله ،
يا علم الهدى ، يا واسع الندى .

وقد صدق أمير الشعراء . اذ يقول فيك يا أمير
الانبياء :

يا من له الأخلاق ما تهوى الملا
منها وما يتعشق الكبراء
زانك في الخلق العظيم شمائل
يفرى بهن ويولع الكرماء
فاذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت مالا تفعل الأنواء
واذا عفوت فقادرا ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء
واذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
واذا خطبت فللمنابر هزة
تعمرو الندى وللقلوب بكاء
واذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء
واذا غضبت فانما هي غضبة
للحق لا ضغن ولا شحناء
لو أن انسانا تخر ملة
ما اختار الا دينك الفقراء
المصلحون أصابع جمعت يدا
هي أنت بل أنت السيد البيضاء

تأمل يا أخا الإسلام كرمه مع الجيران ، اذ يقول لأبي ذر
رضي الله عنه : « اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »
رواه مسلم .

وذبح في بيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما شاة ،
فقال : أهديتم لجاري اليهودي ، فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « مازال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت أنه سيورثه » رواه أبو داود والترمذي .

وكما عنى الإسلام بأداء الحقوق الى الجيران ، ايا كان
مذهبه ، فإنه في نفس الوقت حذر تحذيرا بعيد المدى عن أذى
الجار ، اذ أن أذاه تضاعف عليه العقوبة .

فاسمع معي الى ما نطق به رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حل هذه المشكلة المتعلقة بأذى أحد الجيران لجاره :

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره
قال : « اذهب فاصبر . فأتاه مرتين او ثلاثا فقال : اذهب
فاطرح متاعك في الطريق ، فطرح متاعه في الطريق ، فجعل
الناس يسألونه فيخبرهم خبره فيلعنونه ، فعل الله به ،
وفعل وفعل ، فجاء اليه جاره فقال : ارجع لا ترى مني
شيئا تكرهه » رواه أبو داود .

أو ما سمعت الى ما رواه الامام الترمذي رضي الله
عنه « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير
الجيران عند الله خيرهم لجاره »

حق المسلم على المسلم

وتتسع بنا دائرة التربية الاسلامية ، فنتنقل الأحاديث النبوية الشريفة من حق الجار على جاره ، الى حق المسلم على أخيه المسلم .

فاذا ما عرفت الحقوق وتبينت الواجبات ، وضعت الأمور في نصابها ، وسميت الأشياء بأسمائها ، وثبتت النقاط على حروفها ، وهنا لا تزل قدم بعد ثبوتها ، ويسير موكب الحياة على خط مستقيم ، لا ترى فيه عوجا ولا التواء لانه أتباع لهدى الله . وهذه سنة محكمة لا تختلف ولا تتخلف من يوم هبط آدم وحواء الى هذا الكوكب الارضى قال (اهبطا منها جميعا بعضهم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) .

فماذا قال نبي الهدى وواسع الندى ، عن حقوق المسلم على أخيه المسلم ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « حق المسلم على المسلم ست ، قيل ما هن يارسول الله ؟ قال : اذا لقينته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا

استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فشمته ،
واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه ، رواه الخبسة .

الإسلام دين الرحمة

وهل تكون الحياة حياة اذا جف معيها من الرحمة ؟ وهل
تستقيم سبلها اذا أصيب أهلها بقسوة العاطفة وغفوة
الضمير ، وتحول الناس الى دوى اكباد غليظة ؟ انها عندئذ
يكون بطن الأرض أولى بأهلها من ظهرها .

وها هو ذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثنا عن رحمة الله بخلقه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء
فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا
واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس
حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه الشيخان .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : « من لا يرحم لا يرحم » رواه الشيخان
والترمذى .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن .
ارحموا أهل الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم الصادق المصدق صاحب هذه الحجرة يقول « لا تنزع الرحمة الا من شقى » رواه أبو داود والترمذى .

وجاء شيخ كبير يريد النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا » رواه الترمذى وأبو داود .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر » . رواه الترمذى .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكرم شاب شيخا لسنة الا قبض الله له من يكرمه عند سنة » رواه الترمذى .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمنین فی توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه الشيخان .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه » رواه الشيخان والترمذى .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيه حبلا ، وهو نائم ، فاستيقظ ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه أبو داود في المزاح بسند صالح .

سيدي يا رسول الله .. صدق من سماك الرؤوف الرحيم ، فأنت الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة . واسمع لى بأن أقف وقفة أمام بابك ، لأنقل هذه الصورة الرائعة من الرحمة التى شملت كل المخلوقات ، حتى ما قد يكون منها مؤذيا .

رجل يدخل الجنة بعمل آداه وهو فى باب الرحمة يسقى كلبا ثم يشكر الله له صنيعه ، ويغفر له .

لنستمع الى أبى هريرة رضى الله عنه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى . فنزل البئر فملا خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا يا رسول الله : وان لنا فى البهائم اجرا ؟ فقال : نعم فى كل ذات كبد رطبة اجر » رواه الشيخان .

وشملت رحمته عالم الطير والحشرات :

فمن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلقت لحاجتى فرأيت حمرة معها فرخان فأخذت فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال « من فجع هذه بولدها فردوا ولدها اليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن . قال أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار الا رب النار » رواه أبو داود ، ومعنى «حمرة» نوع من العصافير .

الوعيد الشديد للظالمين

وبعد ما أفاضت الأحاديث النبوية الشريفة في باب الرحمة ، وأشرقت بنور الإسلام في مجالها الرحيب ورحابها المقدسة ، يقف بنا الرسول صلى الله عليه وسلم أمام قضية من قضايا الحياة الأساسية . انها قضية العدل .

وهل يتحقق العدل الا اذا رفع الظلم ؟

نعم . ان العدل والحق قرينان ، اذا رفع أحدهما رفع الآخر .

وان الظلم والباطل قرينان ، اذا وجد أحدهما وجد الآخر .

فهيا بنا الى رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا حديثا كله حق وصدق ، لا مرأى فيه ، ولا كذب يعتريه .

يقول الله تبارك وتعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار)
صدق الله العظيم .

وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة »
(رواه الشيخان والترمذى)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أخذ من الأرض شيئا بغير حق خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين » .

وفي رواية « من أخذ شبرا من الأرض ظلما غانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين » رواه الشيخان وأحمد .

وهذا ارشاد نبوى كريم ، وتوجيه اسلامى رائع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو فيه من حمل ظلما ان يتحلل ، ويؤدى الحقوق قبل ان تبلغ الروح الحلقوم ، وتصل الى التراقي قبل المساق الى الله ، حيث لا عودة الا يوم الحساب .

كان مالك بن دينار رضى الله عنه اذا حاولت نفسه ان تزين له السوء ، كان يذهب الى مقبرة مهجورة ، وينام بها قليلا ، ثم يهب قائما مذعورا ينفض التراب عنه ، وهو يقرأ قوله تعالى : (رب ارجعون . لعلى اعمل صالحا فيما تركت) ثم يقول لنفسه : يمالك لقد رجعت فاعمل قبل ان

تموت فلا ترجع (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة
وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع
فيه ولا خلال) (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من
قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم
الظالمون) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال « من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء
فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، ان كان
له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم تكن له حسنات
أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه .
من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن
مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ،
ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الأربعة .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم
القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ،
حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ، رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس

غينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من امتى من ياتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، واكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان غنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار . » .

ماذا قال رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم عن العدالة الالهية المطلقة ؟
لقد قال عجباً ، تذهل له الالباب .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » .

والجلحاء : هى الشاة التى لا قرن لها - رواها مسلم والترمذى .

وتأمل معى مدى حرص الاسلام على حفظ الحقوق والنهى الشديد عن العبث بها .

فى عبارة موجزة يلخص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ، وفى حوار دقيق يضع النقاط على الحروف فى حديث شريف نصه :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ارأيت

ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك . قال :
أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : قاتله . قال : أرأيت ان قتلنى ؟
قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت ان قتلته ؟ قال : هو فى
النار « رواه مسلم فى الايمان .

واعلم يا اخا الاسلام ان من الذنوب ذنوبا يعجل الله
لصاحبها الانتقام فى الدنيا مع ما أعده له من سوء العذاب
يوم القيامة ، مصداقا لقوله جل شأنه (ومن أعرض عن
ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .
قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك
أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

من هذه الذنوب ما جاء فى حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

عن أبى بكره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « ما من ذنب أجد أن يعجل الله تعالى لصاحبه
العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة مثل البغى وقطيعة
الرحم » رواه أبو داود والترمذى .

وانظر الى عدالة الاسلام وقد أظلت العالم أجمع
باختلاف ملله ونحله ، وكيف نهى عن تعذيب الأدميين ، بل
وعن تعذيب المخلوقات التى تحس كما نحس ، وتألم كما
نتألم ، وتبكى بغير دموع ، وتتوجع ولا تكاد تبين .

واليك هذا المشهد الجليل :

مر هشام بن حكيم رضى الله عنهما بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس ، وصب على رؤوسهم الزيت . فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون في الخراج . فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هر ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي أرسلتها ترمم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا » رواه الشيخان .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه حتى يدعه ، وان كان أخاه لأبيه وأمه » رواه مسلم والترمذى .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يشر أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » .

ودخل عبید الله بن زياد على معقل بن يسار رضى الله عنهما في مرضه الذى مات فيه فسأله عبید الله فقال : « لو علمت أن لى حياة ما حدثتك . انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من خيب زوجة امرىء أو مملوكه فليس منا » رواه أبو داود والنسائي .

فمن خيب : أى أفسد زوجة على زوجها أو عبدا على سيده ، أو ولدا على والده مثلا ، فليس على دين محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفساد وظلم لخلق الله تعالى .

وهذا إرشاد نبوى كريم ، يعطى النفس قوة واستقلالا ، ويبنى الشخصية على الإيجابية النافعة . يبينها على الاحسان ، ويجنبها الظلم والعدوان .

عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ، ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساعوا فلا تظلموا » .

وعن أبى صرمة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ضار ضار الله به ، ومن شاق شق الله عليه » .

وعن أبى بكر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به » رواه الترمذى .

وعن عبد الله بن حبش رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قطع سدره صوب الله رأسه فى النار » رواه أبو داود والنسائي .

أظلم الناس من يظلم نفسه

وهكذا تمضى بنا مواكب الزحف المقدس ، تقرر المثل العليا والقيم الأخلاقية التى نطقت بها الأحاديث النبوية الشريفة ، لنصل الكلام عن الظلم فى عمومه ، الى نوع خاص منه ، لكنه نوع شنيع وشديد .

انه ظلم الانسان لنفسه .

وهل يظلم الانسان نفسه الا اذا كان سفيها لا يعرف لها قدرها ؟

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

نعم ان الانسان قد يظلم نفسه بالاعتداء عليها فينتحر ، وقد يظلمها بفعل السيئات واقتراف المعاصي ، فينغمس فى ظلمات المخالفات الشرعية ، ولو كان عاقلا مدركا بصيرا ما تنكب عن الجادة ، وما انحرف عن الصراط السوى ، وهو الذى يقرأ قول الحق سبحانه (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) .

واليك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مفصلاً وشاملاً وواضحاً :

عن الحسن رضى الله عنه حدثنا جندب بن عبد الله في هذا المسجد وما نسينا منذ حدثنا . وما نخشى أن يكون جندب كذب على النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده ، فما رقا الدم حتى مات . قال الله تعالى :
بادرنى عبيد بن نفسه حرمت عليه الجنة « رواه البخارى فى آخر بدء الخلق .

ومنه التهمة .

قال الله تعالى : (هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم) .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فمى امانة » رواه ابو داود والترمذى .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » رواه ابو داود بسند حسن .

أى من سمع فى مجلس أنهم يقصدون أحدا بسوء كقتل أو زنا أو أخذ مال بغير حق ، وجب افشاؤه دفعا للمفسدة ، ووجب تبليغ من يقصد بالسوء لياخذ حذره .

وعن همام رضى الله عنه قال : كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان رضى الله عنه ، فقال له حذيفة رضى الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان شر الناس ذو الوجهين ، الذي يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » رواهما الأربعة .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم وسوء ذات البين فانها الحالقة » رواه الترمذى .

أى احذروا الافساد بين الناس فانه يذهب الدين كما تذهب الموسيقى الشعر أو المراد عداوة الناس وبغضهم .

وعن عبد الله رضى الله عنه قال : ان محمدا صلى الله عليه وسلم قال « ألا أنبئكم ما العضة ؟ هى النميمة : القالة بين الناس » رواه مسلم .

وعن عمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار » رواه أبو داود .

ومنه الغيبة :

ومن ظلم الانسان نفسه ، وهو أبشع انواع الظلم ، أن يوقع نفسه فى هذا الوباء الخلقى ، وهو الغيبة . والغيبة هى

ذكرك أخاك المسلم بما يكره ، ولو كان فيه ، إلا إذا كان على
جهة التعريف كقولنا : أتعرف فلانا ؟ فيقول : لا ، فنقول :
الأعمى أو الأعور أو الأعمى مثلا .

والغيبية حرام ، بل هي من الكبائر في حق أهل الفضل الذين
هم قدوة صالحة للناس ، فإن غيرهم تزهد الناس في الأخذ
عنهم .

قال الله تعالى : (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن
يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم)
صدق الله العظيم .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .
قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت ان كان في أخى
ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وان لم يكن
فيه فقد بهتته » . رواه مسلم وأبو داود والترمذى . ومعنى
بهتته : أى رميته بالبهتان وهو الباطل ،

وهذا صراط مستقيم سانه لنا سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى معاملة الناس حتى تظل النفوس فى صفاء ووفاء
ووثام وسلام .

يقول صلى الله عليه وسلم « لا يبلغنى أحد من أصحابى
عن أحد شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر »
رواهما أبو داود والترمذى .

ويستفاد من هذا الحديث النهى عن الغيبة وعن استماعها ،
فانها تغير القلب .

ومنه : « القارىء والسامع شريكان فى الأجر ، والمفتاب
والسامع شركان فى الأثم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « من أكبر الكبائر استطالة المرء فى عرض رجل
مسلم بغير حق . ومن الكبائر السبتان بالسبة » .

ومعنى الاستطالة : أى اطالة المرء لسانه فى حق أخيه .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « ومن الكبائر السبتان
بالسبة » كأن يقول شخص لآخر يا خبيث . فإرد عليه قائلا :
يا خبيث يا لئيم .

ما هى الصورة التى عرضت أمام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج الذين يغتابون الناس ، يأكلون
لحومهم ؟ .

انها صورة محزنة مؤسفة مقبضة للنفس تشمئز منها
الضماير الصافية .

اسمع اليه صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

« لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس
يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟
قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أمراضهم » .

ولا تجوز الغيبة الا في شخص فاسق مجاهر بالمعصية،
مكشوف الحال بالمخالفة لما جاء في الأحاديث الصحيحة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن رجل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له بئس أخو
العشيرة أو ابن العشيرة » .

فلما دخل الان له الكلام . قلت يا رسول الله قلت
الذى قلت ثم انت له الكلام ؟ قال : « أى عائشة ان شر
الناس من تركه الناس ، أو ودعه الناس اتقاء فحشسه »
رواه الأربعة .

وعنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أظن
فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا » رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل أمتى معافى
الا المجاهرين ، وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل
عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان عملت البارحة
كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله
عنه » رواه الشيخان .

وجاء أعرابى فأناخ راحلته ثم عقلها ، ثم دخل المسجد
فصلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى راحلته
فاطلتها ثم ركب ثم نادى : اللهم أرحمنى ومحمدا ولا تشرك

في رحمتنا أحدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اتقولون هو أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا الى ما قال ؟ قالوا :
بلى « رواه الخمسة .

والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعله أضل
من بعيره ، لأنه طلب الرحمة لنفسه وللنبي صلى الله عليه
وسلم دون خلق الله كلهم ، فقد تحجر رحمة الله التي وسعت
كل شيء . وفي رواية : قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لقد تحجرت واسعا يا أخا العرب » .

التصدق بالعرض حسن

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم : السماحة والصفح
الجميل ، والصبر الجميل ، والجميل الهجر قال تعالى :
(فاصفح الصفح الجميل) .

وقال جل شأنه (فاصبر صبرا جميلا) .

وقال تبارك اسمه (واهجرهم هجرا جميلا) .

ومن سماحته صلى الله عليه وسلم : أنه أوصى بالتصدق
بالعرض . ومعنى التصدق بالعرض أى الاحسان الى من
أساء الى الانسان بأن شتمه أو ذكره بما يكره وهو غائب أى
أذى اللسان .

عن عبد الرحمن بن عجلان رضى الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال (أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبى
ضمضم ؟ قالوا : ومن أبو ضمضم ؟ قال : رجل فيمن كان
قبلكم كان إذا أصبح قال : اللهم انى جعلت عرضى لمن شتمنى)
رواه أبو داود .

وهناك أنواع من ظلم الإنسان نفسه نلخصها فيما يلى:
فمنه ظن الأسوء والحقء والحسد .

يقول الله تبارك اسمه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا)
صدق الله العظيم .

وهذا حديث جامع عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، نهى فيه عن التلبس بأى منى من هذه المنهيات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : «ايكم والظن فان الظن أكذب الحديث،
ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ،
ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا »
رواه الأربعة .

ومعنى التحسس : الاستماع لحديث القوم . والتجسس :
البحث عن عوراتهم .

ومعنى التنافس والتحاسد واحد ، هو المسابقة على
الدنيا حرصا عليها .

ومعنى ولا تباغضوا : اى لا تفعلوا ما يوجب البغض والتدابير .

ثم ينهى صلى الله عليه وسلم عن كبيرة تفشت في المجتمع ، الا وهى الحسد .

فما هو الحسد ؟

انه تمنى زوال نعمة الله عن الغير .

ومن هنا جاء النهى قاطعا في قوله صلى الله عليه وسلم:

« اياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ، او قال : العشب » رواه ابو داود وابن ماجه .

العشب : الكلا الرطب . وهذا لان الحسد يقضى بصاحبه الى اغتياب المحسود ، فيزيد نعمة على نعمة ، ويزيد الحاسد خسرانا .

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر هذه الامراض على المجتمع ، ويذكر البديل الشرعى في حديث يفيض حكمة وعلما فيقول :

« دب اليكم داء الامم قبلكم : الحسد والبغضاء هى الحالقة ، لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين . والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا انبئكم بما يثبت ذاكم لكم : امشوا السلام بينكم » رواه الترمذى في الرقائق .

ومن الامراض الاجتماعية الخطيرة التى يعد مرتكبها ظالما لنفسه : تتبع عورات العباد .

قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

ومن ثم جاء ذلك التحذير الصريح الواضح في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابي برزة الاسلمى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه ، لا تفتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » رواه ابو داود والترمذى ولفظه :

« سعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، فنادى بصوت رفيع : يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » .

ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال : « ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك » .

فحرمة المؤمن اعظم حرمة عند الله من الكعبة ذات الحرمة الرفيعة ، والمكانة العظيمة ، والمزايا العديدة . فكيف تستباح حرمة المؤمن بعد هذا ؟

نسأل الله التوفيق .

وأنظر الى الحكمة العلوية بعين عقلك ، والتي نظم الرسول صلى الله عليه وسلم بها العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والراعى والرعية ، وأنه يجب أن تقسوم على حسن الصلة بينه وبينهم ، فيقول الرسول في هذه الشؤون الخطيرة كلاما غالبا وناقما ومثمرا :

عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كذت أن تفسدهم » فقال أبو داود : كلمة سمعها معاوية من النبي صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها .

وعن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الأمر اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم .

وقيل لعبد الله رضى الله عنه : « هذا فلان تقطر لحيته خمرا ، فقال : انا قد نهينا عن التجسس ، ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به » روى هذه الثلاثة أبو داود .

ومن ظلم الانسان نفسه : الكبر والاختيال

الكبر والاختيال كبيرتان من كبائر الذنوب .

لذا ورد النهى عنهما فى كتاب الله تعالى صصارما وحاسما .

قال تعالى فى سورة الاسراء : « ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » .

قال تعالى فى سورة الاسراء : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختار

فخور . وأتصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر
الاصوات لصوت الحمير) .

وتأتى سورة القصص فتحدثنا عن اثنين من جبابرة
البشر :

اولهما : فرعون ، الذى غره ملكه ، واستكبر هو
وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون .

وثانيهما : قارون ، الذى غره ماله ، فخرج على قومه
فى زينته .

ثم تاتى الآية بعد توقيع الجزاء عليهما بالخسف
والاغراق فتقول :

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى
الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة
فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
الا ما كانوا يعملون) .

وتأتى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تثنى
على المتواضعين ، وتنذر المختالين المتكبرين قساة
القلوب :

عن حارثة بن وهب رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « الا اخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف
متضاعف ، لو أقسم على الله لأبره . الا اخبركم بأهل

النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . رواه الشيخان والترمذى .

ومعنى الجواظ : الجموح المنوع للخير .

وجل جلال الله اذ يقول فى الحديث القدسى « الكبرياء
ردائى ، والعظمة ازارى ، فمن نازعنى واحدا منهما قذفته
فى النار » رواه ابو داود ومسلم .

واعلم يا اخى المسلم ان الكبرياء والعظمة صفتان
مختصتان بالله جل شأنه ، لا ينبغى لمخلوق ان يدعيهما ،
كما ان رداء الشخص وازاره لا يشاركه فيهما احد ، فمن
زعم انهما صفة له اتقاه الله فى النار ، لانه تعدى حده من
العبودية والتذل والتواضع .

ولابن عساكر : « اياكم والكبر ، واياكم والحرص ،
واياكم والحسد » .

وهذا وعد ووعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمعهما حديثه الذى قال فيه : « لا يدخل النار احد فى قلبه
مثقال حبة خردل من ايمان ، ولا يدخل الجنة احد فى قلبه
مثقال حبة خردل من كبرياء » .

ما حقيقة الكبر ؟

يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم الكبر فى كلمات
موجزة ، لكنها فى حقيقتها بليغة ومعبرة .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من كان
فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ، قال رجل : يا رسول الله : ان

الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا . قال : ان
الله جميل يحب الجمال . الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس «
رواهما مسلم والترمذى .

أخى المسلم : أحذر أن تكون واحدا من هؤلاء الثلاثة
الذين قال فيهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم
ولهم عذاب اليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » .
رواه مسلم .

كيف يحشر المتكبرون يوم القيامة وما جزاؤهم ؟

يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الفر في صور
الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، فيساقون الى سجن
جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الانيار ، يسقون من عصارة
أهل النار طينة الخبال » رواه الترمذى .

ومعنى بولس : أى شديد العذاب . ومعنى طينة
الخبال : أى بدل من عصارة أهل النار ، وهى سائل القيح
والصديد من أبدانهم .

ومن ظلم الانسان نفسه : السب والقذف

قال تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتي
هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم .
وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .
واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم) .

أعلم يا أخى أن الركيزة الأولى التى قامت عليها دعوة الاسلام هى التى لخصها الحديث الشريف الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

والأخلاق لا تعرف الشتم ولا السب ولا القذف ، إنما تقوم على السماحة والعفو والصفح الجميل .

ومن أشد أنواع القذف والسب أن يرمى الإنسان غيره بالكفر ، فذلك جنائية لها خطرهما على الأخلاق .

وإذا كان ذلك كذلك فما جزاء من رمى غيره بالكفر ؟

إنها كلمات يجيب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » . رواه الأربعة .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » . رواه الشيخان .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » . رواه الشيخان والترمذى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المستبان ما قالا ، فعلى البادىء منهما ما لم يعتد المظلوم » . رواه أبو داود ومسلم والترمذى .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اثنتان في الناس هما بهما كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت »
رواه مسلم .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا قال الرجل : هلك الناس فهو أهلكهم » رواه مسلم وأبو داود .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه » رواه أبو داود .

ومن ظلم الانسان نفسه : اللعن والفحش

كان من عادة اليهود اذا مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبدأوه قائلين : سام عليك يا محمد . فكانت أم المؤمنين عائشة ترد عليهم قائلة : وعليكم السام واللعنة أبناء القردة والخنازير . فيقول لها الرسول صلى الله عليه وسلم مغضبا : « ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش في الكلام » .

قالت يا رسول الله: أو ما سمعت ما يقولون؟ فيقول لها الرسول صلى الله عليه وسلم : « لكن الله أمرني بغير ذلك . وبم أمرك ربك ؟ فقرا عليها قول الله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أو ما علمت يا عائشة بما رددت عليهم ؟ لقد قلت لهم : وعليكم » .

هذا هو الادب الجرم ، والاسلوب الرفيع في معاملة الخلق ، لاسيما شرارهم .

وقد روى الخمسة في حديث جامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف على ملة غير الاسلام فهو كما قال . وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ، ومن لعن مؤمنا فهي كقتله . ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله » .

كيف كان خلق رسول الله ﷺ

يحدثنا انس رضى الله عنه فيقول : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشسا ، ولا لعانا ، ولا سببا . كان يقول عند المعتبة : ما له ترب جبينه » . رواه البخارى .

ومعنى المعتبة : أى الغضب . وترب جبينه : أى لصق بالتراب ، بمعنى ذل .

أو ما علمت ما مصير اللعن وأصحابه في الآخرة ؟ أنه حرمان من نعم كبرى .

يقول صلوات الله وسلامه عليه « أن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة » . رواه مسلم وابو داود .

وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أدع على المشركين . فقال : « أنى لم أبعث لعانا ، وانما بعثت رحمة » رواه مسلم .

لقد بلغ من عظمة الاسلام في تأديبه لاتباعه ان النهى عن اللعنة لم يكن قاصرا على لعن الانسان ، انما تجاوز ذلك الى غيره من المخلوقات التى تدرك ولا تعقل ، فقد ورد النهى عن لعنها هى الاخرى ، ومن لعنها ارتد اللعن عليه هو .

فليتق الله من سمع الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوا بلعنة الله ، ولا بغضب الله ، ولا بالنار » .

وفازعت الريح رجلا رداءه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنها فانها مأمورة ، وانه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه » . رواها أبو داود والترمذى .

وعن أبي الورداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ، ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فاذا لم تجد مساعاً والا رجعت الى الذى لعن ، فان كان لذلك أهلاً والا رجعت الى قائلها » رواه أبو داود .

وعن عبد الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء » رواه الترمذى .

ومن ظلم الإنسان نفسه : احتقار المسلم وهجره

هذه منهيات وحقوق وواجبات يلتزم بها كل مسلم يريد الله واليوم الآخر .

والحقيقة أن هذا الحديث قاموس اجتماعى ينظم العلاقة الاخلاقية بين الافراد وبين الجماعات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى هاهنا — ويشير الى صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » رواه الأربعة .

ومن خلق الاسلام الأصيلة : احترام المسلم لأخيه المسلم . فاذا كان الاحترام أمرا محبباً ، فان الاحتقار رذيلة منهى عنها ..

جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال : « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » رواه مسلم وأحمد .

فمراد الحديث : الا يحتقر أحد احداً لفقره وضعفه ، فربما كان عند الله من المقربين . فرب شخص أشعث ، أى

وسخ الشعر والملابس ، يتقذره الناس ويطردونه ، ولكنه لو طلب من ربه شيئا لأجابه في الحال .

واسمع يا أخى المسلم الى الآثار المترتبة على شحناء النفوس وبغضائها ، وقطيعة بعضها بعضا . انها آثار تكاد تزهق النفوس من هولها .

قال صلى الله عليه وسلم «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، الا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم وابوداود والترمذى .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبدا بينه وبين أخيه شحناء فيقال : اتركوا هذين حتى يفيتا » رواه مسلم .

وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » رواه الأربعة .

عن أبى رهيرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث » فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه ، فان رد عليه السلام فقد

اشتركا في الاجر ، وان لم يرد عليه فقد باء بالاثم ، وخرج المسلم من الهجرة » .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فمن هجر فوقها فمات دخل النار » .

ومن ظلم الانسان نفسه : الجدل والمراء

عنى الاسلام عناية عظمى بالجانب التربوى بالانسان ، ليستقيم امره ، ويسلك الصراط السوى في حياته ، وينال السعادة الأخروية بعد وفاته .

ومما أدب به الاسلام الانسان المسلم ترك الجدل والمراء ، ففيه مضيعة للوقت وملهاة عن العبادة والعمل . والله تعالى اذا غضب على قوم فمن علامات غضبه أنهم يرزقون الجدل ويحرمون العمل . وما ضل قوم بعد هدى الا كانت حياتهم ضياعا وفراغا رهيبا قاتلا .

ونظرة في القرآن الكريم تعطينا درسا في الحديث بيننا كيف نسال ، وعن أى شىء نسال ؟

لقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأهله ، وهى منازل القمر ، لكن السائل سأله عن حقيقتها من أى المعادن ؟ من أى المواد ؟ فجاعت الاجابة تعلم السائل عن أى شىء يسأل . قال تعالى : (قل هى مواقيت للناس والحج) أى

لا تسأل عن حقيقة الأهله أو المسادة التي خلقت منها ، فذاك سؤال لا جدوى منه ، انما اسأل عن منافعها تأتلك الاجابة ، هكذا قال الله تعالى : « يسألونك عن الأهله قل هى مواقيت للناس والحج » .

وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اى شىء ينفقون ؟ وهذا سؤال لا داعى له من حيث هو ، اذ ان النفقة جائزة من كل ما يعود على الناس بالنفع ، سواء اكان ذهبا أم فضة أم زروعا وثمارا ، أم ابلا أو بقرا أو غنما أو ركازا — فجاءت الاجابة تعلمهم كيف يسألون ، فبينت مصارف النفقة دون أن تقيم وزنا لآى شىء تخرج منه النفقة .

قال تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلولادين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) .

فانظر يا أخى كيف كان خلق رسول الله ، وكيف كانت سجاياه صلى الله عليه وسلم .

عن السائب رضى الله عنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ف جعلوا يثنون على ويذكرونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أعلمكم به . قلت : صدقت بأبى أنت وأمى ، كنت شريكى فنعمة الشريك ، كنت لا تدارى ولا تمارى) رواه أبو داود والنسائى .

ومعنى لا تمارى : اى لا تخالف ولا تمنع ، ولا تجادل ولا تخاصم ، فهو يصف النبى صلى الله عليه وسلم بحسن الاخلاق والسهولة فى المعاملة .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ترك الكذب وهو باطل بنى له في ريبض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له في وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها « رواه الترمذى وأبو داود ولفظه :

« أنا زعيم ببیت فی ریبض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ، وببیت فی وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وببیت فی اعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعدة فتخلفه » .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كفى بك اثما مخاصما » رواهما الترمذى .

ومعنى زعيم : أى كفيل وضامن .

ومن ظلم الانسان نفسه : ان يكون بخيلا سىء الخلق

فالبخل وسوء الخلق رذيلتان تدمران المجتمع ، وتقوضان أركان الأمة . ولذا كان الكرم من صفات الله تعالى .

قال الله جل جلاله : (فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر ، ومن شكر فانمسا يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غنى كريم) .

وقد التى القرآن الكريم باللائمة الشهيدة على أبناء القردة والخنسازير ، الذين افتروا على الله كذبا فنعتوه بالبخل . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال جل شأنه . (ومانت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) .

وقد وجه الله هذا الخطاب الى الأمة المؤمنة ، يحثها على الكرم والبذل والعطاء والسخاء (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) .

فماذا يكون الجواب ؟ .

وهل يستجيب الله لذلك المراوغ المخادع ؟ كلا والى لا .

ان الجواب حاسم وقاطع ، انه قوله جل شأنه : (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون) .

فيا آخا الإسلام :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها

على الناس واعلم انها تتقلب

فلا الجود يفتنيها اذا هي اقبلت

ولا البخل يبقيهما اذا هي تذهب

استمع معى الى جوامع الكلم ينطق بها سيد البلغاء
وأفصح الفصحاء محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :
« لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل ،
وسوء الخلق » رواهما الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم » رواه
الترمذى وأبو داود .

عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يتقارب
الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ويكثر الهرج . قالوا :
وما الهرج ؟ قال : « القتل القتل » رواه الثلاثة .

تحريم الكذب

أفضل الفضائل : الصدق ، وأرذل الرذائل : الكذب .
ولقد كان الرجل يأتى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يشكو اليه ما يعانيه من المعاصى ويلتمس الوصية
من الصادق المعصوم ، فيقول له المصطفى : « هل تعاهدنى
على ترك الكذب » ؟

وكان لهذه الوصية الجامعة الوافية الكافية الشافية ،
وقعها الطيب على ذوى النفوس والضمائر اليقظة ، فكان

أحدهم إذا هم بفعل سيئة يسأل نفسه : فماذا تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألك وقال لك : هل عصيت اليوم ربك ؟ ان قلت له : نعم ، فقد أغضبت الله ورسوله باقتراف المعاصي ، وان قلت له : لا ، فقد كذبت « والله لا أعصي » .

ولقد قال الله جل شأنه : « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

وقال جل شأنه : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين . وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » .

وقال تبارك اسمه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

وقال عز من قائل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم » .

وقال تبارك اسمه : « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين . والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين . ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا

يعملون . اليس الله بكف عبده ويخوفونك بالذين من دونه
ومن يضل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من
مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام » .

وقال عز في علاه : « ان المسلمين والمسلمات ،
والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين
والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين
والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين
والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات . والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

وقد وردت في التحذير من الكذب أحاديث صحيحة
الاسناد صريحة النص ، نسوقها كما وردت :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ويل للذى يحدث فيكذب
ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له » . رواه أصحاب
السنن بسند صحيح .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع »
رواه أبو داود ومسلم .

ذلك لأن التكلم بكل ما يسمعه ذنب عظيم ، لأن الصدق
في الناس قليل .

عن سفيان بن أسيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو

لك به مصدق ، وأنت له به كذب » رواه أبو داود والامام أحمد .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : « ما كان خلق ابغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ، ولقد كان الرجل يحدث عند النبي صلى الله عليه وسلم بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة » .

وعن ابن عمر رضی الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نفن ما جاء به » رواهما الترمذی .

عن أم كلثوم بنت عقبة رضی الله عنهما ، وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم ، انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمى خيرا . قالت : ولم أسمع يرخص فى شيء مما يقول الناس كذب الا فى ثلاث : الحرب ، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امراته ، وحديث المرأة زوجها » ، رواه الأربعة .

ولفظ أبى داود : « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شيء من الكذب الا فى ثلاث : كان يقول لا أعده كاذبا : الرجل يصلح بين الناس ، يقول القول ولا يريد به الا الاصلاح ، والرجل يقول فى الحرب ، والرجل يحدث امراته ، والمرأة تحدث زوجها » .

وانما جاز الكذب — وهو حرام — في هذه الأمور لأهميتها في الحرب . فللقائد أن يكذب في الخطة التي ينويها لئلا يتصل خبرهم بالأعداء . ويقاس عليه كل حاكم ما دامت وجهته الخير والاصلاح لعباد الله تعالى .

والذى يصلح بين المتخاصمين : فردين أو قبيلتين أو امتين ، له أن يقول ما يشاء فيما يراه طريقا للتوفيق بينهما .

وحديث الزوج لزوجته : وكذا حديثها لزوجها ، فله أن يكذب معها أحيانا كقوله لها : أنت أحب الناس الى اذا قالت له : انك تحب ضرتى ، أو اهلك أكثر منى ، وكذا اذا طلبت منه شيئا ليس ميسورا له ، فانه يعدها مسايرة وارضاء لها .

ويقول العالم الجليل الشيخ منصور على ناصف :

« انما جاز الكذب في هذه الأمور لأهميتها . فالجيش حصن الأمة ، فاذا انكسر ذهببت الأمة وضاعت . والخصام والشقاق أس كل مصيبة وبلاء . والوفاق أصل كل خير وفلاح . والأسرة الزوجية هي الأفراد التي تتكون منها الأمة ، فاذا نشأت الأولاد بين أبوين لا نزاع بينهما ، بل يتبادلان الاجلال والمودة ، فانهما تنشأ غالبا ذرية طيبة ونباتا حسنا يكون دعامة قوية في أمة تعيش في هناء وسعادة .

وهل يقاس على هذه الأمور في جواز الكذب شسدائد قد تعرض للانسان في دنياه كظالم يريد التعدى على نفس أو عرض أو مال وأمكن الخلاص منه بالكذب الظاهر ؟ نعم ،

لأن الحامل على الكذب في الحديث الضرورة ، وهذه اقصاها ،
فهي داخلة في القاعدة المشهورة : الضرورات تبيح المحظورات
والله اعلم .

ومن ظلم الانسان نفسه : النفاق

لنفاق مرض من أخطر الأمراض الاجتماعية . اذا تفتشى
في أفراد المجتمع دمره ، ودمدم عليه ، وسواه بالتراب .

وقد عرفه الباحثون بأنه اظهار الانسان غير ما يضر .
واخطر أنواعه نفاق العقيدة ، وهو ان يظهر الانسان الاسلام
ويضمر الكفر . يليه نفاق العبادة ، وهو ان يقصد الانسان
بعبادته غير وجه الله . انما يكون هدفه الرياء والسمعة .

وثالث أنواع النفاق : نفاق المعاملة ، وهو اتصاف
الانسان بالكذب عند الحديث ، والخيانة عند الأمانة ، والغدر
عند العهد ، والخلف عند الوعد ، والفجور عند الخصومة .

ولسا كان هذا الوباء له خطره وعواقبه الاليمة —
وجدنا من باب بيان الحق وابطال الباطل ان تفصل الكلام
فيه تفصيلا ، لا يدع عذرا لمعتذر ، بل يقطع الطريق على
كل مرء (يعبد الله على حرف ، فان اصابه خير اطمأن به ،
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك
هو الخسران المبين) .

ويقابل النفاق فضيلة الاخلاص . فالاخلاص سر من
اسرار الله يستودعه قلب من يحب من عباده ، لا يطلع عليه
ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده .

وإذا كان النفاق اظهر ما لا يبطن ، فان الاخلاص ان يقصد الانسان بعمله وجه الله تعالى وحده .

وفي القرآن شجرتان يقول الله في احدهما :

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) .

هذه شجرة الاخلاص في نقائها وصفائها وثباتها .

ويقول الله تعالى في الشجرة الاخرى :

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار) .

انها شجرة النفاق والخبث والرياء والشرك . اعاذنا الله من كل هذا البلاء .

ولناخذ بعد الآن في بيان نفاق العقيدة : انه اخطر انواع النفاق : قلب يضم الكفر والشرك ، ولسان يهتف بالتوحيد والتهليل .

ولخطورة هذا النوع فاننا نرى ذلك متمثلا في مطلع سورة البقرة .

فقد حدثنا مولانا جل شأنه عن ثلاث فرق من الناس : فرقة المؤمنين ، وتحدث عنها القرآن في اربع آيات ، وفرقة

الكافرين ، وتحدث عنها الكتاب العزيز في آيتين ، وفرقه المنافقين — نفاق العقيدة — وتحدث عنها مولانا سبحانه وتعالى في ثلاث عشرة آية .

وكم اكون مبتهجا عندما أسجل هذا المشهد القرآني العظيم من سورة البقرة ليمعن القارئ الكريم نظره في جوانبه .

قال الله جل شأنه :

(ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزعون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغياناتهم

يعمّهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير) .

صدق الله العظيم .

فتأمل معى هذه الاقسام الثلاثة ، تجدها قد احتوت على ثلاثة نماذج من البشر :

النموذج الأول : آمن بالغيب ، واقام الصلاة ، وانفق مما رزقه الله ، وآمن بما أنزل الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله من الكتب الصحيحة ، وأيقن بأن هناك بعد الموت بعثا وحشرا ونشرا ، وميزانا وكتبا ، وصراطا ، وجنة ، ونارا . ووصل ايمانه درجة اليقين الذى لا يخالطه ظلال من الشك ، ولا يعتره غموض ولا لبس . هؤلاء الناس لهم فى القرآن هدى وارشاد ، وهداية الى سواء الصراط .

وهم اصحاب القلوب السليمة : (ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من اتى الله بقلب سليم) .

وهم السابقون السابقون في جنات النعيم .
وهم المقربون ، وهم على سرر موضونة ، متكئين عليها
متقابلين .

وهم الذين يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب
وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ،
وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين
كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون
فيها لغوا ولا تأثيما ، الا قليلا سلا ما سلا .

وهم أيضا أصحاب اليمين ، وما أدراك ما أصحاب
اليمين ؟ انهم في سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود ،
وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ،
وفرش مرفوعة .

وهم الذين قال الله تعالى في نسائهم (انا أنشأناهن انشاء .
فجعلناهن ابكارا . عربيا اترابا . لأصحاب اليمين) .
وهم ثلثة من الأولين ، أى جماعة كثيرة ، وثلثة من
الآخرين .

وهم أيضا الذين قال الله فيهم : (ولن خاف مقام ربه
جناتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان . فبأى آلاء
ربكما تكذبن . فيهما عينان تجريان . فبأى آلاء ربكما
تكذبان . متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى
الجنيتين دان . فبأى آلاء ربكما تكذبان) .

وهم الذين قال الله في نسائهم : (فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثنهن انس قبلهم ولا جان . فبأى آلاء ربكما

تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان . فبأى آلاء ربكما
تكذبان) .

وهم الذين ختم الله لهم هذا المشهد الكريم بقوله :
(هل جزاء الاحسان الا الاحسان) .

ومن هؤلاء أيضا الذين قال الله في درجاتهم يوم القيامة:
! ومن دونهما جنتان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . مدهمتان .
فبأى آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان نضاختان . فبأى آلاء
ربكما تكذبان . فيهما فاكهة ونخل ورمان . فبأى آلاء ربكما
تكذبان) .

وقال الله في حق نسائهم : (فيهن خيرات حسان ،
فبأى آلاء ربكما تكذبان . حور مقصورات في الخيام . فبأى
آلاء ربكما تكذبان . لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان . فبأى
آلاء ربكما تكذبان . متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان .
فبأى آلاء ربكما تكذبان . تبارك اسم ربك ذي الانجلال
والاكرام) .

هذه صورة نشرح لها النفس ، وينبسط لها القلب ،
ويمتلىء الوجدان منها بهجة وسرورا .

انها جنات مليئة بالخسر والبركات ، يلخص القرآن
ما فيها فيقول : (وفيها ما تشتهيهِ النفس وتلذ الأعين وانتم
فيها خالدون) .

نعم ! نعم الخلود ونعم الثواب وحسنت مرتفقا .

لا تركزن الى الدنيا وما فيها
فالموت لا شك يفينا ويفنيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها

(ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا .
عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تقجيرا . يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطيرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا .
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت
قطوفها تذليلا . ويطرف عليهم بأنية من فضة وأكواب كانت
قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويستقون فيها
كأسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا .
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا . واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب
سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا . ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

صدق الله العظيم

انعم بالجزاء ، وانعم بالسعى المشكور .
اللهم انا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ،
وحب المساكين ، واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا اليك غير
مفتونين .

يا عالم السر منا لا تكشف السر عنا ، وعافنا واعف
عنا ، وكن لنا حيث كنا .

يا اخا الاسلام :

لا تركزن الى القصور الفسخرة
واذكر عظامك حين تمسى ناخرة
واذا رأيت زخارف الدنيا
فقل يا رب ان العيش عيش الآخرة

النموذج الثانى : تنقبض له النفس ، ويرتاع له الفؤاد ،
وتضيق له الصدور . انه مشهد قوم في قلوبهم جحود وانكار
وعناد ، بحيث لا تنفعهم بشارة ، ولا تؤثر فيهم نذارة ، انما
أرسل الله اليهم البلاغ لقطع المعاذير عليهم . فهم لظلمات
قلوبهم ، وتعطيل حواسهم ، ختم الله عليها (ان الذين كفروا
سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم) .

اما الأبصار فعليها غشاوة (وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا . الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى
وكانوا لا يستطيعون سمعا) .

أما المصير فمؤلم ومؤسف ومحزن ، لأنه خلود وأى خلود ، خلود في النار ، وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقى ولا تذر .
لواحة للبشر . عليها تسعة عشر .

انهم الذين قال الله فيهم : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ، ولهم عذاب مقيم) .

وقال فيهم : (لا بشين فيها أحقابا . لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، الا حميما وغساقا) .

وقال فيهم : (انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها . وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساعت مرتفقا) .

وقال فيهم : (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبنس المصير . اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور . تكاد تميز من الغيظ كلمالقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) .

وقال فيهم : (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضية . يا أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه) .

وهؤلاء الذين يحكم الله عليهم بقوله : (خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا

فأسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ما هنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون) .

انهم الذين قال الله تعالى فيهم : (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) .

وهم الذين قال الله فيهم : (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) .

فيقال لهم (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . فذوقوا فما للظالمين من نصير) .

وهم الذين قال الله فيهم : (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لن كذب بالساعة سعيرا . اذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزغيرا . واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثورا) .

فيقال لهم : (لا تدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا) .

وهم الذين قال فيهم رب العزة : (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) .

فيأتي الجواب : (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) .

وهم الذين يلاقون مصيرهم من اول ساعة الاحتضار
وفي سكرات الموت ، (حتى اذا جاء احدهم المسوت قال رب
ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت) .

فيقال له : (كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ
الى يوم يبعثون . فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون) .

وهم الأعداء يوم القيامة ، وقد كانوا أخلاء في الدنيا
(اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت
بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم
كما تبرعوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار) .

وهم الذين حكم الله عليهم بالخلود في النار في قوله جل
شأنه (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم طريقا . الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك
على الله يسيرا) .

وهم الذين قال الله فيهم : (ان الذين كفروا لو ان لهم
ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم
القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم . يريدون أن يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) .

وهم الذين يسدور بينهم صراع مرير بين المستكبرين والضعفاء ، ويصور القرآن الكريم هذا الصراع في تلك الآيات الكريمة :

« واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا: انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار . قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد » .
وعندما ييأس الضعفاء من المستكبرين يتوجهون الى خزنة النار .

اسمع معى الى قوله تعالى :

« وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب . قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال » .
وبعدما ييأسون من الخزنة يتوجهون الى مالك كبير الخزنة (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال أنكم ماكنون . لقد جنناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) .

وعندما ييأسون من رئيس الخزنة يتوجهون الى الجبار جل في علاه .

فاسمع معى الى المشهد من اوله :

يقول الله تبارك وتعالى :

(حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم

برزخ الى يوم يبعثون . فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون . قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسئوا فيها ولا تكلمون . انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمانا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون . انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون . قال كم لبيتم فى الأرض عدد سنين . قالوا لبيثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين . قال ان لبيتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون . أمحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم . ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانها حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون . وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) .

ان هذه النماذج من البشر هم أصحاب القلوب الميتة ، التى قال الله فيهم : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) .

وقال فيهم : (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

وكما قسمنا أصحاب القلوب السليمة الى قسمين ،
وهم : السابقون ، وأصحاب اليمين ، فان أصحاب القلوب
الميتة قسمان أيضا : تابعون ومتبوعون . أما المتبوعون فهم
الذين قال الله فيهم : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة
يחסبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله
عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) .

وأما التابعون فالإيهام تشير الآية : (او كظلمات في بحر
لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور) .

أصحاب القلوب المريضة هم المنافقون ، ومرض القلوب
قسمان : مرض شهوة وفيه يقول الله تعالى : (فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) .

فالقلوب المصابة بمرض الشهوة قلوب لا أمن فيها ولا
أمان لها لأنها خلت وتجردت عن ذكر الله . والله جل جلاله
يقول : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله
تطمئن القلوب) .

أسأل الله أن يجعلنا من الذين تطمئن قلوبهم بذكره ،
وتشرق أفئدتهم بنوره .

أما مرض الشبهة فانه اضرار الكفر واطهار الاسلام .
وهؤلاء هم الذين ورد فيهم مشاهد خطيرة من سور القرآن

الكريم ، منها ذلك المشهد الرهيب الذى بداه الله تعالى بقوله :
(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)
هذه أولى صفاتهم : اظهر الايمان بالقول واللسان ، ونفى
الايمان نفيا قاطعا عن القلب والجنان .

ماذا يقصدون بهذا الخداع والتمويه ولكن على من ؟

على علام الغيوب الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى
الصدور ؟ انهم يخدعون أنفسهم ويكذبون عليها وان كانوا
لا يشعرون بذلك ، فالله قد أخبرهم به .

الله يدري كل ما تضممر
يعلم ما تخفى وما تظهر
وان خدعت الناس لم
تستطع خداع من يطوى ومن ينشر

لماذا يخادعون ؟ ولماذا يراعون ؟

قال تعالى اجابة عن هذا السؤال : (فى قلوبهم مرض)
فأى أنواع المرض قد أصاب قلوبهم ؟ انه مرض الشبهة والريبة
والشك .

ولما كانوا كذلك مصرين على عنادهم لا يحاولون تطهير
قلوبهم ، زادهم الله مرضا ، أى عاقبهم على اصرارهم بزيادة
مرض القلوب . هذا فى الدنيا ، وفى الآخرة لهم عذاب اليم
بسبب كذبهم على أنفسهم ظنا منهم انهم يكذبون على الله .

هؤلاء المنافقون مرضى القلوب زين لهم الشيطان أعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

واكبر جريمة يقع الانسان في شباكها ، أن يرى السوء
حسنا — هنا تكون القلوب قد وصلت الى مرحلة العمى
الحقيقى .

(فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى
الصدر) .

قال تعالى : (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) .
أن هؤلاء الناس من هذا الفريق .

(واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) أى بنشر الكذب
والضلال والفتن والوقيعه وانفساد ذات البين ، وتمزيق
الصلات ، وقطع سبل المودة ، وايقاع العداوات والخصومات
بين الناس ، وايغار الصدور بالبغضاء والشحناء والحقـد
والحسد . ماذا يكون جوابهم ؟ قالوا (انما نحن مصلحون) .

ولسنا ندرى كيف يحكمون على الفساد بالصلاح ،
وكيف يحكمون على الشئ بضده ، وعلى الحقيقة بنقيضها ،
ذلك لأنهم مرضى .

ومن يك ذا قسم مر مريض

يجد مرا به الماء الزلالا

وما ضر السورود وما عليها

إذا الزكسوم لم يطعم شذاها

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم المساء من سقم

لذلك عقب الله تعالى على قولهم بحكمه العادل الصادق:

« الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

فما الذى منعهم من الشعور ؟ مرض القلوب .

وهؤلاء الناس أيضا اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس،
أى آمنوا ايمانا حقيقيا مبعثه القلب ، فجزوره ضاربة في أعماق
القلوب ، وثمراته صاعدة الى عنان السماء ، ان ثمرته هو
العمل الصالح .

« ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل ، وان قوما غرتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ولا
حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا
الظن لأحسنوا العمل » .

ماذ يكن جواب هؤلاء اذا طلب منهم الايمان الحقيقي
الصحيح ؟

« قالوا انؤمن كما آمن السفهاء » ؟

ما الذى جعلهم يحكمون على حقيقة الايمان بالسفاهة
وخفة العقل والجنون ؟

أن مرض قلوبهم هو الذى جعلهم يحكمون بهذه الأحكام،
ومن ثم فقد جاء الحكم من الله صادقا وقاطعا (إلا أنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون) .

ثم ماذا كان حالهم مع المؤمنين وغير المؤمنين ؟

انه التردد والتذبذب ، وعدم القطع والجزم فى الأمور ،
تردد خبيث ، وتذبذب أشد خبثا « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمننا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
مستهزئون » .

أسمعت أخلاقا تسمح لصاحبها أن يحكم على الأشياء
حسب هواه ومصالحه بحيث يأكل على الموائد كلها ، ويتسرب
الى الصفوف لنفعية دنيئة وأنانية بذئية ؟ أنهم هؤلاء .

ومن ثم فقد جاء الحكم عليهم من الله قاطعا : (الله
يستهزئ بهم) أى يجزيهم على استهزائهم بالعقوبة منهم .
ثم يرخى لهم ويملى لهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ،
ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ويترددون ويتحIRON .

ان هؤلاء الناس لا يوجد على وجه البسيطة أجهل منهم،
ولا أسفه من عقولهم ، لأنهم رأوا الحق حقا فأنكروه وحاربوه
وعاندوه ، بل وأصروا على عنادهم له .

قال تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) .

هذا عقد بيع وشراء ، المبيع فيه هو الهدى والمشتري
هو الضلالة .

هؤلاء الناس الذين تنكبوا جادة الطريق ، واتبعوا نوازع النفس الى مسالك الهوى . باعوا اغلى شيء وتركوه ، بل وطرحوه وراء ظهورهم ، واشتروا الضياع والضلال والبعد عن الحق .

باعوا اغلى الاشياء ، واشتروا اشدها شرا وضررا .

فما الحكم على هذا العقد العجيب الغريب ؟

ان الله حكم عليه بقوله : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

ليس بعد هذا الخسران خسران مبين .

كان الهدى امامهم فلولوه ظهورهم ، وكان الضلال يهتف امامهم بأنه الضلال فاعتنقوه بعدما عانقوه ، وفتحوا له ابواب القلوب ، وما كان للضلال والهدى ان يجتمعا في قلب واحد ، فطرد الهدى وحل الضلال ، ووقعوا في غياهب الظلمات وفلول الدجى وما كانوا مهتدين .

ما حالهم وما شأنهم ؟

لقد ضرب الله لهم مثلين عجيبين ، يصوران حالهم اقوى تصوير وابرة :
تصوير وابرة :

المثل الأول : قال فيه مولانا جل ذكره : (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون) .

يقول السادة المفسرون رضى الله عنهم : تقدير هذا المثل : ان الله سبحانه شبيهم في اشتراطهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى ، بمن استوقد نارا ، فلما اضاءت ما حوله وانتفع بها ، وابصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها ، فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره ، وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى ، وهو مع هذا ، فهو أصم لا يسمع ، ابكم لا ينطق ، أعمى لا يبصر ، فلماذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك . فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى ، واستحبابهم الغى على الرشد .

وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم .

والتشبه ههنا في غاية الصحة ، لأنهم بايمانهم اكتسبوا أولا نورا ، ثم بنفاقهم ثانيا ابطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة ، فانه لا حيرة أعظم من حيرة الدين .

قوله تعالى : (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون) أى ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النور ، وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق والدخان .

(وتركهم في ظلمات) وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق .

(لا يبصرون) لا يهتدون الى سبيل خير ولا يعرفونها .

وهم مع ذلك (صم) لا يسمعون خيرا ، (بكم) لا يتكلمون
بما ينفعهم (عمى) فى ضلالة .

وعماية البصيرة ، كما قال تعالى : (فانها لا تعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) فلهذا لا يرجعون
الى ما كانوا عليه من الهداية التى باعوها بالضلالة .

ولكى نزيد المعنى وضوحا لأن المقام يحتاج ذلك ، فاننا
نسجل ما قاله السادة المفسرون القدامى ، فنقول وبالله
التوفيق :

قال السدى فى تفسيره عن ابى مالك وعن أبى صالح
عن ابن عباس ، وعن مرة عن مسعود وعن ناس من الصحابة :
(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال : أخذوا الضلالة
وتركوا الهدى . وقال ابن اسحاق عن محمد بن أبى محمد
عن عكرمة أو سعيد بن جبیر عن ابن عباس : (أولئك اشتروا
الضلالة بالهدى) أى الكفر بالإيمان . وقال مجاهد : آمنوا
ثم كفروا . وقال قتادة : استحبوا الضلالة على الهدى . وهذا
الذى قاله قتادة يشبهه فى المعنى قوله تعالى فى ثمود (وأما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) .

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عدلوا عن
الهدى الى الضلال ، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة ، وهو
معنى قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أى
بذلوا الهدى ثمنا للضلالة ، وسواء فى ذلك من كان منهم قد
حصل له الإيمان ثم رجع عنه الى الكفر ، كما قال تعالى فيهم

(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى كما يكون حال فريق آخر منهم ، فإنهم أنواع وأقسام .

ولهذا قال تعالى (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)
أى ما ربحت صفتهم فى هذه البيعة ، وما كانوا مهتدين ، أى راشدین فى صنعهم ذلك .

وقال ابن جرير : حدثنا بشير حدثنا يزيد حدثنا سعيد ابن قتادة : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد والله رأيتهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ، ومن الجماعة الى الفرقة ، ومن الأمن الى الخوف ، ومن السنة الى البدعة .

وهكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله بسواء .

(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون) يقال : مثل ومثل ومثيل أيضا والجمع أمثال . قال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) .

وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم فى اشترائهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى ، بمن استوقد نارا ، فلما اضاءت ما حوله ، وانتفع بها ، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله ، وتأنس بها ، فبينما هو كذلك اذ طفتت

ناره و صار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى ، وهو مع هذا فهو أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياء لما أبصر ، فلماذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك . فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى ، واستحبابهم النفي على الرشد . وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع والله أعلم .

وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السدي ثم قال : والتشبيه ههنا في غاية الصحة ، لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ، ثم بنفاقهم ثانيًا ابطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة ، فانه لا حيرة أعظم من حيرة الدين .

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات ، واحتج بقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

والصواب أن هذا اخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم ، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم ايمان قبل ذلك ثم سلبوه وطبع على قلوبهم . ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية ههنا ، وهي قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) .

فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاعوا بما اظهروه من كلمة الايمان ، أى في الدنيا ، ثم اعقبهم ظلمات يوم القيامة .

قال : وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال
(رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من
الموت) أى كدوران الذى يغشى عليه من الموت .

وقال تعالى : (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) .

وقال تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل أسفارا) .

وقال بعضهم : تقدير الكلام : مثل قصتهم كقصة الذين
استوقدوا نارا .

وقال بعضهم : المستوقد واحد لجماعة معه . قلت :
وقد التفتت فى اثناء المثل من الواحد الى الجمع فى قوله تعالى :
(فلما أضاعت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات
لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون) .

وهذا أفصح فى الكلام وأبلغ فى النظام .

وقوله تعالى : (ذهب الله بنورهم) أى ذهب عنهم
بما ينفعهم وهو النور وأبقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق
والدخان .

قال السدى فى تفسيره عن أبى مالك وعن أبى صالح
عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن
ناس من الصحابة (فلما أضاعت ما حوله) زعم أن ناسا دخلوا

في الاسلام مَقِيمَ نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا ، وكان مثلهم كمثل رجل في ظلمه فأوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقى منه ، فبينما هو كذلك اذا طفئت ناره ، فأقبل لا يدري ما يتقى من أذى ، فذلك المنافق ، كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر ، فبينما هو كذلك اذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشر .

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية قال : أما النور فهو ايمانهم الذي كانوا يتكلمون به ، وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على الهدى ثم نزع منهم فاعتوا بعد ذلك .

وقال مجاهد : (فلما أضاءت ما حوله) أما اضاءة النار فأقبلهم الى المؤمنين والهدى .

وقل عطاء الخراساني في قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال : هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ، ثم يدركه العمى ، عمى القلب .

وقال ابن أبي حاتم : وروى عن عكرمة والحسن والسدي والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) قال : هذا مال المنافق يبصر أحيانا ويعرف أحيانا ثم يدركه عمى القلب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (مثلهم
كمثل الذي استوقد ناراً) إلى آخر الآية ، قال : هذه صفة
المنافقين ، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما
أضاعت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ناراً ، ثم كفروا فذهب
الله بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في
ظلمات لا يبصرون .

وأما قول ابن جرير فيثبه مارواه على بن أبي طلحة
عن ابن عباس في قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)
قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالاسلام
فينالكهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفئء ، فلما ماتوا
سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي
العالية : (ومثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) فانما ضوء النار
ما أوقدتها ، فاذا خمدت ذهب نورها ، وكذلك المنافق
كلما تكلم بكلمة الاخلاص بلا اله الا الله أضاء له ، فاذا شك
وقع في الظلمة .

وقال الضحاك (ذهب الله بنورهم) أما نورهم فهو ايمانهم
الذي تكلموا به .

وقال عبد الرازق عن معمر عن قتادة (مثلهم كمثل
الذي استوقد ناراً فلما أضاعت ما حوله) فهي لا اله الا الله،
أضاعت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا ، وانكحوا
النساء وحققوا دماءهم ، حتى اذا ماتوا ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية : ان المعنى ان المنافق تكلم بلا اله الا الله فأضاعت له في الدنيا ، ففأكح بها المسلمين ، وغازاهم بها ، ووارثهم بها ، وحقن بها دمه وماله . فلما كان عند الموت سلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في عمله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) .

قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) يقول : في عذاب اذا ماتوا .

وقال محمد بن اسحاق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس (وتركهم في ظلمات) أى يبصرون الحق ويقولون به حتى اذا خرجوا من ظلمة الكفر اطفأوه بكفرهم ونفاقهم فيه ، فتركهم في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق .

وقال السدى في تفسيره بسنده : (وتركهم في ظلمات) فكانت الظلمة نفاقهم .

وقال الحسن البصرى : (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله ، عمل السوء ، فلا يجد عملا من خير عمل به يصدق به قول لا اله الا الله (صم بكم عمى) .

قال السدى بسنده : (صم بكم عمى) فهم خرس عمى .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (صم بكم عمى)
يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه . وكذلك
قال أبو العالية وقتادة بن دعامة (فهم لا يرجعون) .

قال ابن عباس : أى لا يرجعون الى هدى . وكذا قال
الربيع بن أنس .

وقال السدى بسنده : (صم بكم عمى فهم لا يرجعون)
الى الاسلام .

وقال قتادة : (فهم لا يرجعون) أى لا يتوبون ، ولا هم
يذكرون .

وهذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين قال فيه تعالى :
(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبسرق يجعلون
أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط
بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم
مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شىء قدير) .

قال العلامة ابن كثير : هذا من آخر ضربه الله تعالى
لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ،
ويشكون تارة اخرى ، فقلوبهم فى حال شكهم وكفرهم
وترددها (كصيب) والصيب المطر . قاله ابن مسعود ،
وابن عباس ، وناس من الصحابة ، وأبو العالية ومجاهد ،
وسعيد بن جبیر ، وعطاء والحسن البصرى ، وقتادة ، وعطية
العوفى ، وعطاء الخراسانى ، والسدى ، والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب .

والأشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات ،
وهي الشكوك والكفر والنفاق (ورعد) وهو ما يزعج القلوب
من الخوف ، فان من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع .

كما قال تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم) .

وقال : (ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم
قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه
وهم يجمعون) .

(والبرق) هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من
المنافقين في بعض الأحيان من نور الايمان ، ولهذا قال :
(يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله
محيط بالكافرين) أى ولا يجدى عنهم حذرهم شيئا ، لأن الله
محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وارادته . كما قال : (هل
أتاك حسدith الجنود . فرعون وثمود . بل الذين كفروا في
تكذيب . والله من ورائهم محيط) بهم .

ثم قال : (يكاد البرق يخطف ابصارهم) أى لشدته
وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للايمان .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : (يكاد البرق
يخطف ابصارهم) يقول : يكاد محكم القرآن يدل على
عورات المنافقين .

وقال ابن اسحاق : حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة
أو سعيد بن جبیر عن ابن عباس : (يكاد البسرق يخطف
ابصارهم) أى لشدة ضوء الحق (كلما اضاء لهم مشوا فيه
وإذا اظلم عليهم قاموا) أى كلما ظهر لهم من الايمان شئ
استأنسوا به واتبعوه ، وتارة تعرض لهم الشكوك ، اظلمت
قلوبهم فوقفوا حائرين .

وقال على بن ابي طلحة عن ابن عباس : (كلما اضاء
لهم مشوا فيه) يقول : كلما اصاب المنافقين من عز الاسلام
اطمأنوا اليه ، وإذا اصاب الاسلام نكبة قاموا ليرجعوا الى
الكفر ، كقوله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف
فإن اصابه خير اطمأن به) .

وقال محمد بن اسحاق عن محمد بن ابي محمد عن
عكرمة ، أو سعيد بن جبیر عن ابن عباس : (كلما اضاء
لهم مشوا فيه وإذا اظلم عليهم قاموا) ، أى يعرفون الحق
ويتكلمون به ، فهم من قولهم به على استقامة ، فاذا ارتكسوا
منه الى الكفر قاموا أى متحيرين .

وهكذا قال أبو العالية ، والحسن البصرى وقتادة ،
والربيع بن أنس ، والسدى بسنده عن الصحابة ، وهو أصح
وأظهر والله أعلم .

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور
بحسب ايمانهم ، فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة

فراسخ ، وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ومنهم من يطفأ نوره
تارة ويضىء أخرى .

ومنهم من يمشى على الصراط تارة ويقف أخرى .

ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخالص من المنافقين
الذين قال تعالى فيهم (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا) .

وقال في حق المؤمنين : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرامك اليوم جنات تجري
من تحتها الأنهار) الآية .

وقال تعالى : (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم
لنا نورنا واغفر لنا أنك على كل شيء قدير) .

قوله تعالى : (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم
إن الله على كل شيء قدير) .

قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن
عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى :
(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال : لما تركوا
من الحق بعد معرفته (إن الله على كل شيء قدير) قال
ابن عباس : أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو
عفو قدير .

وقال ابن جرير : انما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع ، لأنه حذر المنافقين بأسسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى اذهاب أسماهم وإبصارهم قدير . ومعنى قدير قادر ، كما أن معنى عليم عالم .

وذهب ابن جرير ومن تبعه الى أن هذين المثلين مضمونان لصنف واحد من المنافقين ، وتكون (أو) في قوله تعالى : (أو كصيب من السماء) بمعنى الواو كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أو تكون للتخيير ، أي : اضرب لهم مثلاً بهذا وإن شئت بهذا — قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، على ما وجهه الزمخشري أن كلا منهما مساو للآخر في اباحة الجلوس اليه ، ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا ، فهذا مطابق لحالهم .

(قلت) : وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ، فانهم اصناف ، ولهم احوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة : ومنهم — ومنهم — ومنهم يذكر احوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم . والله أعلم .

كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفى الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الى أن قال (أو كظلمات في بحر لجي) الآية .

فالاول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثانى لذوى الجهل البسيط من الاتباع المقلدين . والله أعلم بالصواب .

ونختتم هذا البحث بهذا الحديث النبوى الجسامع الذى يحدثنا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن القلوب فيقول:

للقلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلاقه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح — فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجُه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص ، عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثُل البقلة يمدّها الماء الطيب : ومثل النفاق فيه كمثُل القرحة ، يمدّها القيح والدم ، فأى المادتين غلبت الأخرى غلبت عليه « وهذا اسناد جيد حسن .

وبهذا ينتهى الحديث عن نفاق العقيدة .

أما نفاق العبادة ، فهو أن يقصد الإنسان بعبادته الرياء والسمعة . ومن هنا فقد نهى الله عن ذلك في قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وقد ورد في الحديث القدسى الجليل : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشريكه» .

أما نفاق المعاملة فقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين الصفات السلوكية التى إذا اجتمعت فى إنسان ما أدخلته فى دائرة النفاق السلوكى وهو خطر مدمر للمجتمع .

ونحن هنا نسوق هذه الأحاديث بنصها لنستخرج منها كل هذه الصفات :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوّمن خان » .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » رواهما الأربعة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير الى هذه مرة والى هذه مرة » .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » . رواهما مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا » رواه الشيخان .

ومن مجموع هذه الأحاديث يستفاد أن آيات النفاق تتلخص فيما يلي :

- (أ) الكذب في الحديث .
- (ب) الخلف في الوعد .
- (ج) الخيانة في الأمانة .
- (د) الغدر في العهد .
- (هـ) الفجور في الخصومة .

وما من شك في أن هذه الرذائل ماثتعت في مجتمع الا كان الذل رائده والخسران حليفه ، وأذاقه الله لباس الجوع والخوف .

فمن أراد أن يتوب الى الله من هذه الأمراض الوبائية الخطيرة ، فليتحل بأضداد تلك الرذائل ، فليصدق اذا حدث ، وليكن وفيا اذا وعد ، وليكن امينا اذا ائتمن .

قال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) .

وقال تعالى : (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) .

وقال عز من قائل : (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) .

وقال تبارك اسمه : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) .

وقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمك ،
ولا تخن من خائفك » .

وإذا كان غدر العهد صفة من صفات النفاق ، فإن
الوفاء به سجية كريمة من سجايا الايمان .

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون . واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون) .

وإذا كان الفجور فى الخصومة رذيلة من رذائل النفاق ،
فإن السماحة والعفو من شيم الكرام :

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى احسن
فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا
الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) .

هذا ، ومن كرم الله تعالى أنه فتح باب توبته لتتوب
وتتوب وتتوب .

قال عز من قائل : (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من
النار ولن تجد لهم نصيرا . الا الذين تابوا وأصلحوا وأخلصوا

دينهم الله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما . ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما . لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم (.

نسأل الله العلى العظيم أن يطهر قلوبنا من الغش والنفاق ، ونفوسنا من البغضاء والشحناء ، وأنفئدتنا من الرياء والسمعة ، وأن يرزقنا قبل المات توبة ، وعند المات شهادة ، وبعد المات جنة .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد) .

هذا والحمد لله أولا وآخرا ، وعليه التكلان ، وهو المستعان .

تم بحمد الله



حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشمك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التصريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التي تصلنا من مختلف أنحاء العالم الاسلامي والتي تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف في سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشمك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٢٢ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائي بمعهد الاسكندرية الديني .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، انعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق في طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر لكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوي ، وكان الاول على فرقتيه دائما ، وحصل على مجموع مائة في المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة في القسم الثانوي ، وفي الشهادة-الثانوية حصل على مجموع ٩٨٪ .
- التحق بكلية اصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالمية ، وكان ترتيبه الاول ، ومثل الأزهر الشريف في عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالي .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الاوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤
- والان يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشوارع مصر والسودان بالقاهرة .

الناشر



القهررس

الصفحة

الموضوع

٥	المقدمة
٧	الأخلاق في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩	ماذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم عن بر الوالدين ؟
١١	ماذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الإبناء ؟
١٥	تجب صلة الرحم ويحرم قطعها
١٦	متى يعتبر الانسان واصلا لرحمه ؟
٢٠	انسياتيات اسلامية
٢٢	حقوق وواجبات
٢٣	الرحمة بالأرمل واليتامى
٢٥	الاسلام وحقوق الجار
٢٩	حق المسلم على المسلم
٣٠	الاسلام دين الرحمة
٣٣	الوعيد الشديد للظالمين
٤٠	أظلم الناس من يظلم نفسه
٤٦	التصدق بالعرض حسن
٥٠	ومن ظلم الانسان نفسه : الكبر والاختيال
٥٣	ومن ظلم الانسان نفسه : السب والقذف
٥٥	ومن ظلم الانسان نفسه : اللعن والفحش

الصفحة

الموضوع

- ٥٦ . كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
٥٨ . ومن ظلم الانسان نفسه : احتقار المسلم وهجره .
٦٠ » » » » »
٦٢ . أن يكون بخيلا سيء الخلق .
٦٤ تحريم الكذب .
٦٦ ومن ظلم الانسان نفسه : النفاق .



رقم الابداع ١٨١٤ / ١٩٨١

التزقيم الدولي x-٣١-٧٣٢٢٣-٩٧٧ ISBN

مطابع الاحرام التجارية